الجامعة المستنصرية
كلية الاداب
قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

مادة انثروبولوجيا القرابة
مصطلحات القرابة وانماطها

زينة جسام

مصطلحات القرابة

مصطلحات القرابة متعددة؛ لأن المجتمعات تختلف كثيرًا في بنائها الاجتماعي، ولكنها في مجموعها تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

١. **مصطلحات القرابة التصنيفية أو الطبقية** Classificatory، وهي التي تصنف المجموعة المحلية إلى طبقات عمر، وبذلك يصبح هناك طبقة الأجداد وطبقة الآباء وطبقة الأبناء وطبقة الأحفاد، وكل فرد في طبقة معينة يصبح أخًا أو أبًا أو جَدًّا ... إلخ.

٢. **مصطلحات القرابة الوصفية** descriptive، وهي التي تصف العلاقة الحقيقية للقرابة بحيث يصبح لكل شخص مصطلح معين؛ كالأب والعم والجد والأم والخال والخالة وابن الخال ... إلخ.

ولقد كان من الشائع بين الإثنولوجيين القدماء سهولة الفصل بين هذين النوعين، لكن الدراسات التفصيلية العديدة قد أوضحت أن هناك عدم وضوح المصطلحات عند بعض المجتمعات، وأخرى تستخدم النوعين معًا، وثالثة تمثل مراحل مختلفة بين هذين النوعين.

ومن الأدلة التي نَسُوقها على ذلك أن المجتمع الريفي المصري يطلق على العم مصطلح أب في الوقت الذي يعرف فيه هذا المجتمع نوع القرابة التي تصف العم تمامًا، وكذلك يطلق على الحمي (الحمو) أبًا، والحماة أُمًّا تجاوزًا.

ويُطلَق مصطلح خالة على كثيرات من السيدات من طبقة عمر الأم، بغض النظر عن وجود علاقة قرابة فعلية. وكثير من هذه الأمثلة من الاستخدامات غير المحددة لمصطلحات القرابة موجود عند أكثر المجتمعات التزامًا بنظام القرابة الوصفية، كالمجتمع العربي والمجتمع الأوروبي والغربي عامة.

وتقوم مصطلحات القرابة عند المجتمعات المختلفة على الأسس التالية:

١- **مبدأ الأجيال:** الجد والجدة. ↑ الوالدان وأخواتهم. جيل الأنا الإخوة والأخوات. ↓ الأبناء وأبناء العمومة والخئولة ... إلخ. الأحفاد. ويمكن حسب هذا المبدأ تطبيق النظامين الوصفي والطبقي في مصطلحات القرابة؛ فمثلًا العم والخالة يصبحان أبًا وأمًّا.

٢- **مبدأ الجنس:** وهذا يتبع التفريق بين الأقارب حسب الجنس.

٣- **مبدأ المصاهرة:** وهذا يرتبط بالزواج وأنماطه، وأحيانًا يصح التغاضي عن وصف قرابة بعض الأصهار، فيُقال: عم لزوج العمة أو الخالة.

٤- **مبدأ خط النسب:** وهو يُفصِّل ويُوضِّح التسلسل القرابي المباشر أو الجانبي. مثال ذلك أن الجد والأب والابن تسلسل قرابي مباشر، بينما العم والخال والعمة والخالة وأبناؤهم تسلسل قرابي جانبي. ويرتبط بهذا أيضًا مبدأ التشعيب لتمييز القرابة القريبة والبعيدة.

٥- مبدأ التبادلية: وبمقتضاه ينادي الشخص من جيل أعلى قريبه في جيل أدنى بنفس اللقب، مثال ذلك أن ينادي الجد حفيده بـ «جدو»، أو العم ابن أخيه بـ «عمو» ... إلخ. وعلى عكس ذلك نجد أن مبدأ السن يُراعى عند بعض المجتمعات للتمييز بين الأخ الأكبر والأصغر.

أنماط القرابة

وبناءً على الدراسات الكثيرة في هذا الموضوع أمكن استخلاص عدد من أنماط القرابة السائدة في العالم،(في عام ١٩٤٩ عدد الأستاذ مردوك في كتابه «البناء الاجتماعي» ١١ نمطًا من أنماط القرابة، لكنه عاد في ١٩٥٧ فاختصرها إلى تسعة أنماط.)_ وفيما يلي دراسة موجزة للأنماط الرئيسية للقرابة في العالم:

القرابة الإسكيماوية

في هذا النمط لا تميز مصطلحات خاصة بين العم والخال والخالة والعمة، بل يُطلَق عليهم جميعًا عم أو عمة، كما لا يوجد تمييز بين أبناء العمومة والخئولة وأبناء العمات والخالات — أي لا يوجد تمييز بين القرابة الكاملة (أبناء العم والخالة) والقرابة المتقاطعة (أبناء الخال والعمة)، ويسود هذا النمط عند المجتمعات ذات الأسر الأحادية الزوجة. وحيث تصبح الأسرة النووية المكون الأساسي في البناء الاجتماعي، فلا تظهر أشكال بنوية اجتماعية أخرى كالعشائر والقبائل. ويظهر هذا النمط بين الإسكيمو وقبائل الرعاة والصيادين في شمال سيبيريا وأوروبا القطبية (اللاب)، كما يظهر أيضًا عند السلكنام في تييرا، ولفويجو، وأقزام جزر أندمان، وأقزام السمانج في الملايو. إن أكثر الجماعات التي تتبع هذا النمط من القرابة عددًا في الوقت الحاضر، هم أصحاب الحضارة الصناعية من الأوروبيين والأوروبيي الأصل.

نمط هاواي

وفي هذا النمط يُطلَق على كل الأقارب من جيل الوالدين أب وأم، وعلى أبنائهم وبناتهم إخوة، وعلى أحفادهم أبناء. وبعبارةٍ أخرى، فإن مبدأ طبقة العمر يلعب دوره في تحديد نوع القرابة، وينتشر هذا النمط في جزر بولينيزيا وبعض قبائل الفلبين وأمريند السهول وأمريند الساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية، ومجموعة شعوب الإنكا في أمريكا الجنوبية، وقبيلة السيامانا في تييرا ولفويجو (خليط بين النمط الإسكيماوي والهوائي). وبذلك فإن النمط الهوائي ينتشر في عالم المحيط الهادي.

نمط الإيروكويز والداكوتا

هنا مصطلح قرابي واحد لأبناء العمة والخال (قرابة متقاطعة)، أما أبناء العم والخالة فهم إخوة وأخوات. وعند الإيروكويز نجد مصطلحًا واحدًا للأم والخالة والعمة، ونجد في بعض العشائر مصطلحًا واحدًا للأم والخالة ومصطلحًا آخر للعمة.

أما عند الداكوتا فهناك مصطلحات قرابية مختلفة لكلٍّ من الأم والخالة والعمة. وأسباب هذا الاختلاف راجعة إلى أن الإيروكويز يمارسون زواجًا رحمي الإقامة، ويكونون أسرًا أموية مركبة مع زواج أحادي ويلتزمون بالنسب الأموي. أما الداكوتا فهم يمارسون زواجًا عصبي الإقامة، ويكونون أسرًا أبوية مركبة مع نسب أبوي وزواج أحادي أو متعدد الزوجات.

وينتشر نمط الإيروكويز بين الإيروكويز والهورون من أمريند الشمال الشرقي، ويظهر عند قبيلة مينانج كاباو في سومطرة، وفي الملايو وجنوب غرب الهند (قبيلة نايار) وعدد من قبائل ميلانيزيا، وأستراليا، وأفريقيا. أما نمط الداكوتا فواسع الانتشار في أفريقيا وأوشينيا وكثير من الأمريند.

نمط كرو Crow

في هذا النمط نجد مصطلحات مختلفة لأبناء الخال وأبناء العمة، وكذلك مصطلحات مختلفة لأبناء العم وأبناء الخالة، وفي الوقت نفسه يُطلَق على الأب والعم مصطلح واحد، وكذلك على الأم والخالة، بينما تُوجَد مصطلحات خاصة لكلٍّ من الخال والعمة.

ولا يعني مصطلح «أب» الأب والعم فقط، بل يُطلَق أيضًا على كل قريب للأب من جهة أمه، مثلًا ابن خالة أو خال الأب. وكذلك يعني مصطلح «أم» كل سيدة متزوجة من أي قريب من أقارب الأب من جهة أمه — أي زوجة من يمكن أن يُطلَق عليه «أب».

وهذا ناجم عن أن الكرو (أمريند السهول) ينتظمون اجتماعيًّا في عشائر أموية تمارس الإقامة الرحمية المكان مع الزواج الأحادي.

ويتميز نمط الكرو بأن هناك تصعيدًا لبعض الأقارب من مرحلة عمر إلى مرحلة أعلى، ويقابل ذلك هبوطًا ببعض الأقارب إلى مرحلة عمر أدنى.

فعندهم بنت العمة تُسمَّى عمة، وابن العمة يُسمَّى أبًا، بينما يُطلَق على الخال أخ أكبر، وتُسمَّى زوجة الخال: زوجة، وأبناء الخال: أبناء. فالعمة وأبناؤها يصعدون جيلًا بأكمله، بينما يهبط الخال وأبناؤه جيلًا إلى أدنى. والهبوط بالخال ناجم عن الاحتمال القائم عند الكرو بإمكانية زواج الشخص من زوجة خاله في حالة وفاة الخال، أما تصعيد أبناء العمة فتفسيره مرتبط بمضاعفة البعد القرابي مع أقارب الأب من جهة شقيقاته؛ لأن الأب في هذه الحالة يصبح خالًا لأبناء أخته، وينطبق عليه مبدأ تهبيط الخال إلى جيل أدنى (انظر شكل ٨-٧)، وينتشر نمط الكرو القرابي بين أمريند الجنوب الشرقي من أمريكا الشمالية وبعض عشائر قبائل السو Sioux، وبين أمريند البيوبلو، وبعض قبائل فنزويلا وشرق البرازيل وبعض مناطق أفريقيا وأوشينيا.

نمط أوماها

وهو عكس نمط الكرو القرابي، فهنا نجد مصطلحًا واحدًا للأم والخالة وبنت الخال؛ أي تصعيد للخال وابن الخال. وفي مقابل ذلك نجد هبوطًا للعمة وجيلها. ولعل ذلك راجع إلى ممارسة النسب الأبوي وتكوين عشائر عصبية المكان بحيث يصبح الخال ونسله أقارب بعيدين ،وينتشر هذا النمط كثيرًا في أفريقيا وعند قبائل السو من الأمريند في أمريكا الشمالية.

النمط السوداني

وهو عكس القرابة الهاوائية تمامًا — أي إنه نمط قرابي وصفي لكل شكل من أشكال القرابة: عم – عمة – خال – خالة – ابن عم – ابن خال ... إلخ، وهو شائع الانتشار عند المجتمعات الأبوية تمامًا مثل المجتمعات العربية والكثير من قبائل النطاق السوداني من أفريقيا.

هذه هي أهم أنماط القرابة، وهذا هو هيكلها الرئيسي؛ بمعنى أن هناك تغايرات عديدة لكل نمط في أماكن مختلفة، أو حتى عند العشائر المتقاربة، بحيث نجد مثلًا بعض أشكال القرابة من أنماط أوماها وداكوتا والسودان مشتركة معًا عند مجموعةٍ ما من مجموعات النسب الأبوي، أو أشكالًا قرابية تنتمي إلى الإيروكيز والكرو معًا عند مجتمع أموي النسب أو رحمي الإقامة.

كما نجد في أحيانٍ أخرى بعض صفات قرابية تشترك فيها أنماط متناقضة؛ مثل: هاوائي، والإسكيمو أو داكوتا، والإيروكيز. وقد يحدث ذلك عند طبقات مختلفة داخل القبيلة الواحدة، وذلك راجع إلى اختلاف الأصول التاريخية في تكوين طبقات القبيلة أو الشعب.

وكما سبق ذكره فإن هذه الأنماط ليست جامدة، بل قابلة للتغيير والتبديل نتيجة للتغير الحضاري المستمر؛ مما يؤثر على علاقات الأجيال والأنساب بصفة مستمرة.